هذا مع الأحكام الجزافية بتلفيق الأسانيد ووضعها لتأييد الآراء المسبقة ؟

أما رأى الدكتور بدوى ، فله اعتباره لأنه صادر عن أستاذ، باحث، منهجى، له باع طويل فى الدراسات الإسلامية والاستشراقية .

وإلى سوء النية والقصد لدى بعض المستشرقين يشير «واط» فيقول « ... وإذا حدث أن كانت بعض آراء العلماء الغربيين غير معقوله عند المسلمين ، فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا دائماً مخلصين لمبادئهم العلمية ، وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من وجهة النظر التاريخية الدقيقة (١) .

ومع أن هذه شهادة من «واط » تستحق التقدير،إلا أنه لم يستطع « الفكاك من نقاط الشد الأخرى التى تمسك بتلابيب العقل الغربى : النزوع العلمانى والمسلمات المادية والرؤية الوصفية..» (٢) .

المستشرق الموضوعى هو الذى يبدأ فى عرض موضوع بحثه من وجهة نظر أهله وأتباعه كما يعتقدونه. فمثلاً : القرآن بالنسبة للمسلم هو كلام الله ـ جل وعلا ـ الأزلى ، غير المخلوق، أوحاه الله تعالى عن طريق جبريل الأمين إلى نبيه محمد «ﷺ» ومحمد ليس نبياً ورسولاً فحسب وإنما خاتم الأنبياء . هكذا دون ما حذف أو إضافة، ثم يعرض لرأيه إما بالموافقة أو بالمعارضة . المهم: يضع الحقيقة ـ من وجهة نظر المسلمين ـ مقترنة برأيه هو، أمام القارئ فلا يمارس عليه ضغطا بتشويه ثم بوضع رأيه بمقتضى هذا التشويه .

« غير أن هذا المنهج المنطقى والطبيعى فى العرض قلما يتبع ـ مع الأسف الشديد ـ إذ أن الحقائق كثيراً ما تحرّف فيتعرض القارئ نتيجة لذلك ـ إذا لم يكن على علم واسع ـ إلى شىء من الإيحاء برأى معين أو أنه يتعرض فى الأقل إلى اختلاط فى الأمور تجعله عاجزاً عن التمييز بين الأصل المتوارث لدى جماعة المسلمين وبين رأى الكاتب . وهكذا نجد كثيراً من المستشرقين الذين يحمّلون غيرهم أعباء معارفهم الخاصة، يهملون ملاحظة أية مبادئ أولية يفترضها المنهج العلمى فى معالجة المسائل التاريخية، فهم يؤكدون مثلاً: أن القرآن من إنشاء محمد «ﷺ» ، ثم يذهبون مذهباً بعيداً فى تأسيس الأحكام التاريخية والعقيدية والأدبية وغيرها على هذا التأكيد ، وسرعان ما ترتفع هذه التأكيدات بمجرد التكرار إلى مرتبة الحقائق الثابتة(٣)».

---

١ ـ واط : السابق ص ٦ .
٢ ـ د. عماد الدين خليل : السابق ص٦٨ .
٣ ـ د. طيباوى : المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ص٢٩ .